ما وافق لهجة هذيل من القراءات القرآنية
دراسة وتحليل

د. علي خلف الهروط

جامعة مؤتة – الأردن

تنتسب قبيلة هذيل العربية إلى عدنان. فهى هذيل بن مدركه بن الياس بن معد بن عدنان (١). وهى من القبائل التى تحتل لهجتها مكاناً مرموقاً بين اللهجات العربية القديمة عند اللغويين والنحاة العرب. فهى من القبائل الست التى يحتج بكلامها. يقول السيوطى نقلاً عن الفارابى:

« والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم أُقتدى وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد. فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه. وعليهم اتّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف. ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم». (٢)

وقد جاء عن أبى عبيد " أنَّ القرآن بعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن وغيرهم» (٣).

وقال عثمان بن عفان – رضى الله عنه – عنها:« اجعلوا المصلى» (وفي رواية الملى) من هذيل والكاتب من ثقيف» (٤).

وقال المقدسى : " إنَّ هذيلا من أفصح لغات العرب " (٥).

وقالوا أبو عمرو بن العلاء: " من أفصح الشعراء ألسناً وأعربهم أهل السروات وهن ثلاث وهى الجبال المطلة على تهامة مما يلى اليمن فأولها هذيل..."(٦).

لهذا كله ولأهمية لهجة هذيل أردت في بحثى هذا أن أضع بين يدي القارئ بعضاً من خصائص هذه اللهجة. خاصة ما وافق منها قراءة قرآنية. وعلى هذا وجدتنى مدفوعا لقراءة الكتب التى تهتم بالقراءات واللهجات. وعلى رأسها وبعد تمحيص وطول تنقيب كتاب البحر المحيط لأنه أوْفَى هذه الكتب وأكثرها اهتماماً

باللهجات والقراءات وعزو اللهجات إلى قبائلها. فجمعت مادة البحث منه ومن غيره من الكتب التى اهتمت بموضوع اللهجات ووجدت أن لهذيل خصائص لاتزيد على عشر أوردها فيما يلي مشفوعة بالتحليل والدرس:

١- كسر همزة "أم" اذا سبقها كسرٌ أو ياء :

يقول أبو حيّان : " وقرأ الأخوان (فلأمه) هنا ويقصد سورة النساء موضعين وفي القصص (في إمّها) وفي الزخرف (في إمّ الكتاب) بكسر الهمزة لتناسب الكسرة والياء. وكذا قرأ (من بطون إمّهاتكم)» فى النحل والزمر والنجم، أو (بيوت إمّهاتكم) فى النور" (٧) .

وذكر سيبويه أن كسر الهمزة من "أمّ" بعد الياء أو الكسر لغة. وذكر الكسائى والفراء أنها لغة هوازن وهذيل (٨).

وعلّل القدماء هذه الظاهرة تعليلات كثيرة حملت تسميات مختلفة كلها تدور في فلك فكرة واحدة. فهذا مكّى بن أبي طالب يعلل هذه الظاهرة قائلاً :"إنّ "أم" كَثُرَ استعماله، والهمزة حرف مستثقل بدلالة ما يحدث فيها من البدل والتخفيف والحذف ونقل الحركة دون غيرها من الحروف. فلما وقع حرفاً مستثقلاً أوّلَ الاسم، وثقل الخروج من كسر أو ياء إلى ضم ، فلم يستطيعوا ذلك، لذلك لجأوا إلي إتباع حركة ما قبله ليعمل اللسان عملاً واحداً"(٩).

وسماها بعض اللغويين الإتباع وقسموه إلى قسمين قسم تتبع فيه حركة آخر الكلمة المعربة لحركة أول الكلمة التى بعدها. وقسم تتبع فيه حركة أول الكلمة لحركة آخر الكلمة التى قبلها (١٠). يبدو لى أنّ هذه الظاهرة لها مايشبهها فى العربية فالضمائر المتصلة : الهاء ، وهم ، وهما وهن تكسر العرب هاءَ ها إذا كان ما قبلها مكسوراً أو ياء. على حين نجد الهاء نفسها فى غير هذه التراكيب على نحو آخر أى مضمومة. كقولك : لهُ ولهُم ولهُنّ ولهُما. وهكذا أيضا إذا كانت مسبوقة بضم فإنّها تُضَمّ . (١١)

ولعل السر الكامن وراء كسرهاء هذه الضمائر إذا سبقت بياء أو كسر هو السر نفسه الكامن وراء كسر همزة "أم" إذا سبقت هى الأخرى بياء أو كسر : هذا السر يفسر بما يسمى في علم الأصوات الحديث "ظاهرة الانسجام الصوتى" Vowel Harmony إذ يصعب على اللسان الانتقال من كسر إلى ضم إلى كسر فلهذا كَسَرَتْ هذيل همزةَ "أم" في لغتها وكسرت الضمائر السابقة

إذا سبقت بكسر. وهذا ما يسميه ابن جنّي ماهجمت فيه الحركة على الحركة من غير قياس وهو كبيت الكتاب (وقال اضربْ الساقين إمّكِ هابل) (١٢).

ويبدو أن هذيلاً لم تخالف القانون الصوتي العام للغة العربية حيث لايوجد في العربية كلمة ينتقل اللسان فيها من كسر إلى ضم إلى كسر (١٣).

ويبدو لي كذلك أن القانون الصوتي في هذه اللهجة يتعدى حدود الكلمة الواحدة كما في القراءات السابقة لكلمة "أم" وهذا يدل على أنّ هذا القانون لايرتبط بمستوى الكلمة الواحدة بل يتعداه إلى الكلمات المجاورة ، وهذا ما أشار إليه بعض الباحثين المحدثين (١٤) .

ومما يشير إلى وجود هذه الظاهرة عند هذيل في كسر "أم" أنّ هذه اللهجة فاشية في بعض بقاع العالم العربي كلبنان وسوريه وفلسطين فإنهم يقولون "إمي" بكسر همزة أم.

٢- إبدال الواو المكسورة همزة :

اختلفت كتب اللغة والقراءات في عزو هذه الظاهرة أيما اختلاف ، وبعض المصادر تذكرها دون عزو. فهذا هو سيبويه يقول في باب " ما كانت الواو فيه أولا وكانت فاء":

"علم أنّ هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار ، إن شئت تركتها على حالها وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها وذلك نحو قولهم "ولد وإلد. وفي وجوه وأجوه، ثم يقول أيضاً" "ولكن ناساً كثيراً يجرون الواو إذا كانت مكسورة مُجرى المضمومة ، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولاً ... فمن ذلك قولهم : إسادة وإعاء" (١٥). فسيبويه لم ينسب الظاهرة لقبيلة ما ولكنه يقول بأنّ ناساً كثيراً يستعملونها.

وعلى النقيض من هذا نجد ابن دريد في الجمهرة يعزوها لهذيل (١٦)، وابن السكيت في الابدال (١٧) ، والنحاس في إعراب القرآن (١٨) يعزونها لهذيل أيضاً. وابن منظور ينفرد في عزوها إلى تميم (١٩).

يقول أبو حيان : " قرأ ابن جبير (من إعاء أخيه) بإبدال الواو المكسورة همزة كما قالوا: إشاح وإسادة في وشاح ووسادة، وذلك مطرد في لغة هذيل، يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولاً همزة" (٢٠) .

ولهذا كله نحن أمام ظاهرة محيرة فى اللغة العربية، فأكثر العلماء القدماء ينسبها لهذيل ويوافقهم بعض الباحثين المحدثين (٢١). والمحير فى هذه الظاهرة يمكن تلخيصه فى :

أ- أنّ العرب - معظم العرب - وخاصة البيئة الحجازية التى فيها هذيل تميل إلى تسهيل الهمز لا إلى نبره . فكيف تبدل الواو همزة.

ب - أنّ شعراً من شعر هذيل ورد تارة بالواو وأخرى بالهمزة وإليك ما يؤيد ما نذهب إليه.

فكنت وأبو ذؤيب (وهو من هذيل) ... وسربلت أكفانى ووسّدت ساعدى (٢٢)

فقد استخدم لفظة "وسد" بالواو وليس بالهمزة.

١- وإنى لأسرى تحت أدماء ناجية ... من هذيل يُخدى فى سواد مع الليل (٢٣)

٢- لا لدك أصحابى فلا تزدهم ... بسارية إذا مدت عليك الحلائب

ففى البيتين السابقين استبدل الشاعر الهمزة بالواو . وهذا يتفق مع ما تقره لهجة هذيل وهو قلب الواو المكسورة همزة إذا وقعت فاء للكلمة. إلا أنه ضم الهمزة فى البيت الأول ، وكسرها فى البيت الثانى.

ج - وردت هذه الظاهرة فى شعر شعراء ليسوا من هذيل كقول الشَّنْفَرى فى اللاّمية : بالهمز وليس بالواو (٢٤).

فأيمت نسواناً وأيتمت إلدة ... وعدت كما أبدأت والليل أليل

وقول النابغة (٢٥) .

"فهن إضاء صافيات الغلائل"

وقول الكميت (٢٦) :

فباكرها والشمس لم يبدُ قرنها بإحدانه المستولغات المكلّب

الشعراء الثلاثة ليسوا من هذيل إلا أنهم قلبوا الواو فى ولدة، ووضاء ، ووحدان ، همزة ، وهذا يشير إلى أن الظاهرة اللغوية الواحدة قد تشيع في غير بيئة نتيجة لعوامل مختلفة كالموقع الجغرافى والاقتصادى وغيرهما .

د- أنها وردت في الحديث الشريف بالهمز وليس بالواو:

" اثبتوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث إبراهيم" (٢٧).

فالذى لايختلف عليه اثنان أن الأصل الثلاثى لكلمة إرث هى ورث، فإذا أردت أن تنظر إليها في لسان العرب مثلا تجدها فى باب الثاء فصل الواو، وفى باب الثاء فصل الهمزة، وهذا يشير إلى أن هذه الظاهرة فاشية في الحجاز، ولا غرابة فى ذلك ، فهذيل لاتبعد كثيراً عن مكة ، فمساكنها في المناطق المحيطة بمكة من جهة الطائف.

بعد هذا كله نستطيع القول :

إنَّ هناك احتمالات كثيرة لتفسير هذه الظاهرة أذكر منها:

١- أنّ الهمز هو الأصل ولكنّ معظم العرب أبدلوا الهمزة واواً إلاّ هذيلاً أبقت على الأصل. وهذا له مشابه في اللهجات العربية. فمعظم القبائل ترفع المثنى بالألف وتجره وتنصبه بالياء إلا بلحارث يُجرونه مُجْرى الاسم المقصور. وكذلك الأمر فى الأسماء الستة فى اللغة العربية والشواهد على ذلك كثيرة كقول الشاعر:

إنَّ أباها وأبا أباهـا قد بلغا فى المجد غايتاهـا

فالذى عليه معظم العرب (أنَّ أباها وأبا أبيها - قد بلغا فى المجد غايتيها).

ولكن بلحارث يخالفون هذه القبائل . ويحتمل أنَّ العرب كانوا جميعاً، يعاملون المثنى كالاسم المقصور، ثم حدث تطور ما فى هذا، ثم ظلت بنو الحارث على الأصل (٢٨). وهذا مايسميه بعض المحدثين بالركام اللغوى (٢٩).

٢- أن هذيلا مع أنّها من القبائل التى لا تهمز كغيرها من القبائل الحجازية أرادت أن تخالف القبائل العربية فهمزت مثل هذه الكلمات وهى محدودة معدودة

في اللغة (٣٠) .

٣- قلب ألف الاسم المقصور ياء وإدغامها في ياء المتكلم :

المعروف في اللغة العربية والذي عليه جمهور اللغويين والنحويين أنّه إذا أضيف الاسم المقصور إلى ياء المتكلم يظل الاسم على حاله مع بقاء الألف كما هي فتقول :

عَصَا ، عَصَاي ، وفَتَى ، فَتَاي ، وهُدَى ، هُدَاي .

ولكننا نجد مخالفة لهذه القاعدة عند بعض العرب فتقلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم ، وتدغم هذه الياء في ياء المتكلم هكذا .

عَصَا : عَصَيَّ ، وفَتَى : فَتَيَّ ، وهُدَى : هُدَيَّ.

وقد عزا ابن جنّى في المحتسب (٣١)وأبو حيان في البحر المحيط (٣٢) هذه المخالفة إلي هذيل وهكذا وردت في شعر شعراء هذيل (٣٣).

ويطالعنا صاحب اللسان بغير هذا فينسبها إلى طَيّء (٣٤) . وكذلك الاشمونى ينسبها الى قريش على لسان عيسى بن عمر(٣٥) .

وحقيقة الأمر. أنّ هذه الظاهرة فشت في هذيل. ويثبت ذلك ورودها في ديوان شعر شعراء القبيلة، أضف إلى ذلك، ماورد في كتب القراءات من نسبتها لهذيل. والقراء في الضبط والتحرى بالمكان الذي لايجارى لعنايتهم ودقتهم في كل أمر يتعلق بكتاب الله.

وهذه الظاهرة أو الخاصية تقرها قراءات قرآنية قرأها القراء لاتنكر ولا ترد.

فهذا أبو حيان يطالعنا بقراءات ثلاث ينسبها إلى هذيل فى تفسيره البحر المحيط :

١- "قرأ أبو الطفيل والحسن وابن أبي اسحاق الجحدرى (يا بشرىّ) بقلب الألف ياء، وإدغامها في ياء الإضافة، وهى لغة هذيل ولناس غيرهم"(٣٦) .

٢- وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى الجحدرى "وحيىّ" على لغة هذيل.

يقول أبو ذؤيب :

سبقوا هوىّ ..... الخ البيت " (٣٧) .

٣- "وقرأ عاصم والجحدرى وعبد الله بن أبي اسحاق وعيسى بن عمر (هُدَىّ).

بقلب الألف ياء وإدغامها فى ياء المتكلم إذا لم يكن كُسرَ ماقبل الياء.، لأنهُ حرف لايقبل الحركة، وهى لغة هذيل يقلبون ألف المقصور ياء ويدغمونها فى ياء المتكلم وقال شاعرهم :

سبقوا هوىّ وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل قوم مصرع (٣٨)

هذه القرا ءات القرآنية الثلاث تشير إشارة واضحة إلى أنّ هذه الظاهرة كانت فاشية فى هذيل ويقرأ بها في كتاب الله. أضف إلي هذا أن علم اللغة الحديث والمنطق اللغوى العام يؤيدان هذه الظاهرة.

فالأصل في مثل هذه الكلمات هو كالآتي: هَوَى أصل فعلها الثلاثى هَوَيَ بالياء. ثم اشتق مصدرها على وزن فَعَلٌ فقيل هَوْيٌ .

ثم أصاب الكلمة إعلال أو تطور، فقلبت الياء إلى ألف ، وصارت الكلمة هَوَى ثم إذا أضيفت عند غير هذيل صارت هَوَاي. فكتبت الألف بهذه الصورة موافقة لقواعد الإملاء الصحيح.

والشكل التالى يوضح أنّ هذه الكلمة مرت بثلاث مراحل :

Hawaya Haway Hawaaya

يبدو أن مثل هذه الألفاظ لم تخضع عند هذيل، للتطور الذي أصابها عند غيرها من القبائل فأبقت على الأصل ولم تقلب حرف العلة ألفاً . وحينما أضيفت ياء المتكلم بقيت تلك الكلمة على حالها هكذا:

هَوَي + ياء المتكلم = هَوَىّ

فَتَي + ياء المتكلم = فَتَيّ

هُدي + ياء المتكلم = هُدَىّ

وإليكها بالحروف اللاتينية زيادةٍ فى التوضيح :

haway + ya ---------- hawayya

Fa tay + ya ---------- Fatayya

hu day + ya ---------- Hudaya

٤- جمع الاسم الثلاثي المعتل العين جمع مؤنث سالماً:

من البدهي أن كل مؤنث مفرد ثلاثي غير معتل العين مفتوح الفاء أو مضمومها أو مكسورها يجمع جمع مؤنث سالما بطريقتين :

الأولى : إذا كان مفتوح الفاء لزم فتح عينه في الجمع مثل : سجدة ، سجدات، ودعد ، ودعدات.

الثانية : إذا كان مضموم الفاء أو مكسورها جاز في عينه عند الجمع الفتح والإسكان والإتباع : مثل لُعبة : لُعَبات ، جلدة : جلدات.

فوضع النحاة التغيير في المعتل : أي التحريك فَجَوْزَة وبَيْضَة تجمعان على جَوْزَات وبَيْضَات. إلاّ أن هذيلاً خالفت هذا القانون وحركت عين الفعل.

يقول ابن هشام : إذا كان المجموع بالألف والتاء اسماً ثلاثياً ساكن العين غير معتلها ولا مدغمها فإن كانت فاؤه مفتوحة لزم فتح عينه نحو : سَجْدَة ودَعْد تقول "سجدات" و" دعدات" قال تعالى : "كذلك يريهم الله أعمالهم حَسَرَات عليهم"... وإن كان مضموم الفاء أو مكسورها جاز لك في عينه الفتح والإسكان مطلقاً ...، ويقول أيضا: يمتنع التغيير في نحو "جَوْزَات وبَيْضَات "باعتلال العين : قال تعالى : "في رَوْضَات الجنة" وهذيل تحرك نحو ذلك. وعليه قراءة بعضهم "ثلاث عَوَرات" (٣٩). عزت كثير من كتب اللغة والقراءات هذه المخالفة لهذيل. فسيبويه (٤٠) يقول : " وقد يجمعون المؤنث الذي ليست فيه هاء التأنيث بالتاء كما يجمعون مافيه الهاء، لأنه مؤنث مثله، وذلك قولهم: عَرَسَات وأَرَضَات وعَبَرَات. حركوا الياء وجمعوا على لغة هذيل، لأنهم يقولون بَيَضَات وجَوَزَات" (٤١).

وابن الحاجب يقول : "وفتح الياء والواو من " بَيْضَات وجَوْزَات "لغة هذلية" كقول بعضهم : "أَخُوْ بَيَضَات رائح متأوب " ... الخ البيت.

هذا إذا كان الساكن العين اسمًا غَيْرَ صفة" (٤٢).

وإلى مثل هذا ذهب السيرافى(٤٣) والبغدادى(٤٤) ونقل ابن خالويه فى كتابه "مختصر شواذ القرآن "(٤٥) أن بنى تميم يقولون : رَوَضَات وَجَوَزَات وعَوَرَات ، يعنى بتحريك الواو بالفتح، وسائر العرب بإسكانٍ".

ويدلنا على صحة نسبتها إلى هذيل ما يرويه صاحب البحر حيث يقول : "قرأ الجمهور" "عورات" بسكون الواو وهى لغة أكثر العرب، لايحركون الواو والياء في نحو هذا الجمع، وروى عن ابن عباس تحريك واو عورات بالفتح، والمشهور فى كتب النحو أنّ تحريك الواو والياء في مثل هذا الجمع هو لغة هذيل بن مدركة ... وقال الفراء : العرب على تخفيف ذلك "أى تسكين العين" إلاّ أنّ هذيلاً تثقل – أى تحريك العين بالفتح – ماكان من هذا النوع من ذوات الياء والواو" (٤٦). وقال أبو حيان في موضع آخر" قرأ الأعمش (عَوَرَات بفتح الواو وتقدم أنّها لغة هذيل بن مدركه وبنى تميم"(٤٧) .

فالقراءتان السابقتان اللتان أوردهما أبو حيان جاءتا على لغة هذيل وتميم.

٥- إبدال الحاء عَيْنًا :

تروى كتب اللغة والأدب أنّ هذيلاً تقلب الحاء عيناً ، فيقولون مَثَلاً : اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض، أى اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض. وهذه الظاهرة الصوتية تسميها كتب اللغة بظاهرة الفحفحة، وهى قلب الحاء عيناً . فقد ذكرها السيوطي(٤٨) وابن عقيل(٤٩) وابن جنى(٥٠) وأبوحيان (٥١). ولقد شك الدكتور إبراهيم أنيس في نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل وذلك لأن هذيلاً من بيئة حجازية، أى من بيئة حضرية، والأسهل على هذه البيئة قلب المجهور إلى المهموس بدلاً من العكس، وشك أيضاً فى تسميتها بالفحفحة، لأن تسمية الظاهرة بالفحفحة تقتضى قلب العين إلى الحاء لاشتمالها على حروف الظاهرة، ثم يروى أنّ ابن مسعود (وهو من هذيل) قد ورد عنه قلب العين حاء، أى عكس الظاهرة. وإلى هذا ذهب الدكتور علم الدين الجندى مدللاً على أن هذه الظاهرة لاتثبت أمام النقد، لأنه لم يؤثر عن هذيل هذه الظاهرة فى غير قراءة ابن مسعود" ليسجننه حتى حين" ورد على ذلك أنه ورد عنه قراءة قلب العين حاء(٥٢) . ويقول الدكتور رمضان عبد التواب : يبدو أنّ هذه الظاهرة لم تكن في كل (حاء) عند قبيلة هذيل، إذ لم تقلب الحاء عينا في كلمة (حين) المجاورة لكلمة حتى في الآية

القرآنية، أى أنّ هذا الإبدال خاص بكلمة (حتى). ومما يُقَوِّي هذا الظن قول أبى عبيدة " قوم يحوّلون حاء" حتى " يجعلونها عينا" . ويذكر أنّ هذا التحويل له مايشبهه فى العبرية والآرامية(٥٣) .

أما أبو حيان فقد ذكر هذه الظاهرة مرتين : يقول فى المرة الأولى "حتى حرف معناه الكثير فيه الغاية وتكون للتعليل. وإبدال حائها عينًا لغة هذيل" (٥٤). وفى الثانية يورد قراءة عن ابن مسعود قائلا : وقرأ ابن مسعود (عتى "بإبدال حاء" حتى" عينا. وهى لغة هذيل وأقرأ بذلك فكُتِبَ إليه أن يقرأ بلغة قريش "حتى" لابلغة هذيل (٥٥) .

ويمكن تعليل هذه الظاهرة بأن الكلمتين قد بدأتا بصوت الحاء ولصعوبة نطق هذين الصوتين المتشابهين مخرجاً وصفة. أُبدل الصوت الأول عيناً، وهذا يظهر فى كثير من لغات العالم (٥٦) .

٦-الاجتزاء بالكسرة عن الياء:

هذه الخصيصة تعني الاستغناء عن الياء فى نهاية الكلمة والاستعاضة عنها بالكسرة، كقولك نأتِ بدلاً من نأتى فى غير جزم.

وتذكر المصادر اللغوية أن هذه الخصيصة فاشية فى هذيل. فقد ذكرها الطبرى (٥٧) وأبو حيان (٥٨) . وروى الآلوسى أن حذف الياء من آخر الكلمة إذا لم يتقدم عليها جازم ضرورة من الضرائر(٥٩) . أى أنّها ليست بلهجة عربية.

وحقيقة الأمر أنّها لهجة فاشية فى هذيل والدليل على ذلك(٦٠) :

١- ما قرأ به النحويان ونافع فى قوله تعالى : {يوم يأت لاتكلم نفس إلاّ بإذنه} يأتى بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً. وقراءة باقى السبعة بحذفها وصلاً ووقفاً(٦١) .

٢- ماجاء فى إتحاف فُضَلاء البشر ، من أن الياءات المتطرفة كقوله تعالى : الداعِ ، والجوارِ ، ويأت ، والليل إذا يسرِ ، ودعاء . وأثبتها بعض القراء، مراعين الرسم كيعقوب ، وهى (٦٢) لغة الحجازيين ، ومنهم من يحذف هذه الياء وهى لغة هذيل.

٣- ماجاء عن العرب قولهم : لا أدر (٦٣) بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة على

الراء، وقولهم ما أدرِ ما تقول (٦٤) . وقولهم لا أبالِ (٦٤) .

٤- ماذكره الطبرى فى إنشاد البيت التالى :

كفاك كف ما يليق درهمـــا جوداً وأخرى تُعْطِ بالسيف الدمـــا (٦٥)

إن هذه الخصيصة -كما أسلفنا - تدعمها قراءة سبعية، لاشك في صحتها وصحة سندها، ويدعمها الدليل من لهجات العرب وكلامهم. أضف إلى ذلك أن هذه الظاهرة تكاد تكون عامة في لغات كثيرة وتسمى فى علم الأصوات بـ (تقصير حرف العلة) (word final Vowel shortening) فمثلا : كلمة (نأتى) (NA' tii) تنتهى بحرف الياء الذى يرمز له بـ (ii) فعند تقصيره تكتب (نأتِ) (Na'ti) بـ (i) واحدة أى بنصف ياء، والكسرة في العربية هى بعض الياء كما يقول ابن جنى (الحركات أبعاض حروف) "أو الفتحة بعض الألف"(٦٧) .

٧- كسر حروف المضارعة :

هذه الظاهرة الصوتية كانت فاشية في تميم وغيرها، من القبائل كأسد وربيعة وقيس . وقد أفرد سيبويه لهذه الظاهرة باباً، سماه ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء، كما كسرت ثانى الحروف. حين قلت : فعل. وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز وذلك فى قولهم : أنت تعلم ذلك، ولنا اعلم وهى تعلم ونحن نعلم ذلك (٦٨) . ثم نراه ينسب هذه الظاهرة إلى تميم حين يقول : وجميع هذا يفتحه أهل الحجاز. وبنو تميم لايكسرونه فى الياء إذا قالوا يفعل(٦٩).

ونسبت هذه الظاهرة إلى هذيل فى غير واحد من المصادر، فهذا المرزوقي ينسب الكسر فى "إخال" إلى هذيل (٧٠) . وذكر الخليل بن أحمد في العين : أن لغة هذيل فى "تعرج" وتعكف " الكسر لأنهم مولعون بالكسر (٧١) ويقول الدكتور رمضان عبد التواب وهذه الظاهرة سامية قديمة توجد في العبرية والسريانية والحبشية، والفتح في أحرف المضارعة حادث فى رأيي فى العربية القديمة بدليل عدم وجوده فى اللغات السامية الأخرى، وبدليل مابقى من الكسر فى بعض اللهجات العربية القديمة. وهناك دليل ثالث على أصالة الكسر في حروف المضارعة وهو استمراره حتى الآن في كثير من اللهجات العربية الحديثة كلها(٧٢) .

ونجد أن أبا حيان يذكر القراءات فى "نستعين" قائلاً : "فتح نون نستعين قرأ بها الجمهور وهى لغة الحجاز، وقرأ عبد الله بن عمر الليثى ، وزيد بن حبيش، ويحيى بن وثاب ، والنخعى والأعمش بكسرها وهى لغة قيس وأسد وربيعة . وكذلك حكم حرف المضارعة فى هذا الفعل وما أشبه. وقال أبو جعفر الطوسى هى لغة هذيل(٧٣) .

ويبدو لى أنه ليس من الغريب أن تكون هذه الظاهرة إحدى خصائص لهجة هذيل من زاويتين:

الأولى : أنَّها قُرِئَ بها فى إحدى القراءات المشهورة كما مر، ونسبت القراءة إلى هذيل فى غير واحد من المصادر. والثانية: أنه ليس من الغريب أن تتسرب هذه الظاهرة إلى هذيل فى المنطقة الغربية من الجزيرة، لأن العرب لاتعرف الانعزالية. فمن السبل أن تتداخل اللهجات وتتحد ويحصل بينها مايسمى بعملية التأثر والتأثير، ويؤيد ماذهب وذهب إلى ه أبو حيان ما يورده صاحب كتاب القراءات الشاذة حيث يقول :وقرأ المطوعى" نستعين بكسر نون المضارعة، وكذا يقرأ كل فعل مضارع بكسر حرف المضارعة إذا كان مبدوءاً بنون أوتاء مفتوحين، وكان مفتوح العين وكان ماضيه ثلاثياً مكسور العين أو زائداً علي ثلاثة أحرف ومبدوءاً بهمزة الوصل نحو تعْلمون ونطمع .. وكسر حرف المضارعة بالشروط السابقة لغة تميم وهذيل وأسد وربيعة(٧٤) . ولاتزال هذه الظاهرة فاشية في كثير من لهجاتنا العربية فى الأردن وغيره.

٨- كسر عين مضارع فَعَل اللازم.

من المعروف أن مضارع فعل اللازم عند جمهور النحاة يأتى على صيغة "يقول" بالضم أو يفعل بالكسر.

وهذيل تميل إلى الكسر فى هذا النوع من الأفعال والدليل على ذلك.

١- ما أورده صاحب اللسان حين قال : إن عرج في الدرجة والسلم يعرج عروجًا. أى ارتقى وعرج فى الشئ وعليه يعرج ويعرج عروجًا أيضاً رقى(٧٥) .

٢- ما أورده صاحب القراءات الشاذة حين قال : وقُرِئَ يعرِجعون بكسر الراء وهى لغة (٧٦) .

٣- ما أورده أبو حيان النحوى فى البحر المحيط حين قال : وقرأ الأعمش

وأبو حيوة "يعرِجون" بكسر الراء وهي لغة هذيل في العروج بمعنى الصعود(٧٧) .

ويقول ابن جنيّ : ومن ذلك (العين باب وجوب الجائز أو اعتزام أحد الجائزين) مابين القياس في نحو يضرب، ويجلس، ويدخل، ويخرج ، من اعتقاب الكسر والضم على كل واحدة من هذه العيون، وإن يقال يخرُج ويخرِج، ويدخُل ويدخِل، ويضرُب ويضرِب ، ويجلس ، قياساً على ما اعتقب على عينه الحركتان معا : نحو : يعرِش ويعرُش، ويسبِق ويسبُق ويخلِق ويخلُق، وان كان الكسر في عين مضارع فعل أولى به من يفعل لما قد ذكرناه في شرح تصريف أبي عثمان(٧٨) .

٩- ضم فاء الفعل الثلاثي للمجهول الأجوف :

من المعروف أن الفعل الثلاثي الذي انقلب عين فعله الفاء في الماضي إذا بني للمفعول، أُخلص كَسرُ أوله وقلبت عينه ياء في لغة قريش ومجاوريهم من بني كنانة. وضُمُّ أوّله عند الكثير من قيس ومن جاورهم وعامة بني أسد. وبهذه اللغة قرأ الكسائي، وهشام، في قِيل وغِيض وحِيل وسِئ وسيئت وجِئ وسيق. ووافقه نافع وابن ذكوان في سيء . وسيئت ، وزاد ابن ذكوان حيل وسيق وبالثلثة الأولي أي بلغة قريش، قرأ باقي السبعة.

ويقول أبو حيان : وفي ذلك لغة ثالثة، وهي إخلاص ضم فاء الكلمة وسكون عينها ولم يقرأ بها وهي لغة لهذيل وبني دبير(٧٩) .

ويقول في مكان آخر: "وقرأ عيسى وطلحة "سوء" بضمها وهي لغة بني هذيل وبني دبير يقولون في قيل وبيع ونحوهما : قول وبوع. ولكن القرّاء ينسب الكسر إلى هذيل وسليم ويقول فأمّا الضم فكثير (٨٠) . ويفسر أحد الباحثين هذه الظاهرة الصوتية في قبيلة هذيل بأنّها المرحلة الأولى لتطور الفعل المبني للمفعول والمرحلة الثانية وهي الإشمام إلى الضم. وتكون حركة الفاء في الإشمام بين حركتي الضم والكسر فهي حركة بين حركتي الكسر والضم ثم حدث تطور آخر فيه ، وهو إخلاص الكسر. وجاء هذا على لهجة قريش ومن جاورهم من بني كنانه. فعلى أساس هذا التحليل تكون هذيل قد أبقت على الصورة الأولى للفظ ولم يغير فيها شئ وهذا غير مستبعد.

١٠- كسر عين "نعم".

يقول سيبويه : أمّا قول بعضهم فى القراءة "إن الله نعمًا" ... بتحريك العين فليس على لغة من قال نعم فأسكن العين ولكنه على لغة من قال نعم فحرك العين. وحدثنا أبو الخطاب أنّها لغة هذيل وكسروا كما قالوا لِعِبَ (٨٢) .

ويقول أبو حيان : وقرأ ابن كثير وورش وحفص "فنعما" بكسر النون والعين هنا وفي النساء. ووجه القراءة أنه على لغة هذيل ولا يكون ذلك على لغة من أسكن العين لأنّه يصير مثل جسمْ مالك وهو لايجوز إدغامه على ماذكروا(٨٣) .

وحجة من قرأ بكسر النون والعين أنّ الأصل فيه "نعمِ" بفتح النون وكسر العين. ولكن حرف الحلق إذا كان عين الفعل مكسوراً اتبع ما قبله فكسر لكسره يقولون في شَهِدَ شِهِدَ، ولَعِبَ لِعِبَ، وكذا فعلوا فى نَعِمَ وهى لغة هذيل(٨٤) .

فالقراءة جاءت على لغة هذيل وهى تكسر عيني "نِعِم" اتباعاً لحركة النون. وهذا كثير في لغة العرب بين أصوات الكلمة الواحدة وأصوات الكلمتين المتجاورتين، كما قرئ "للملائكةُ اسجُدوا " "الحمدِ لله" (٨٥) . وهذا ، من باب الانسجام الصوتى بين الأصوات المتجاورة.

بعد هذا نستطيع القول أنّ لهذيل خصائص لغوية تميزت بها عن باقى القبائل وتفردت بها، وأنّ كل خصيصة من هذه الخصائص، وافقتها قراءة قرآنية. ممّا يثبت وجود هذه الخصيصة فى قبيلة هذيل، أضف إلى ذلك أنّ بعض هذه الخصائص مازالت فاشية إلى أيامنا هذه فى بعض لهجاتنا العربية المعاصرة.

* * *

"ملخص"
ما وافق لهجة هذيل من القراءات

لهجة هذيل من لهجات القبائل العربية الست التى احتج بكلامها اللغويون والنحاة فى عصور الاحتجاج وجمع اللغة، ولقيمة هذه اللهجة اللغوية يحاول هذا البحث دراسة خصائص هذه اللهجة خاصة ما وافق منها قراءة قرآنية دراسة تحليلية فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة .

"ABSTRACT"

Huday I dialect was one of the six tribet dialects, taken into great consideration by Arab linquists. Because of the great importance of this dialect, the paper tackles some of its characteristics which match with a Koranic reading (qiraah quraniyyah), and tries to analyze these characteristics in the light of the modern linquistics studies.

الهوامش:

(١) جمهرة أنساب العرب – ابن حزم /دار المعارف – القاهرة ص ١١.

(٢) الاقتراح للسيوطى / مطبعة القاهرة – القاهرة – ١٩٧٦ ص ٥٦.

(٣) الإتقان للسيوطى /مطبعة حجازى – القاهرة – ص ٤٨-٤٩.

(٤) المزهر / للسيوطى – دار الفكر – بيروت – ج١/ص٢١١.

(٥) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم / المقدسى – طبع ليدن ، ١٩٠٦، ج١/ص٩٧.

(٦) المزهر للسيوطى ٤٨٣/٢.

(٧) البحر المحيط/ أبو حيان – مطبعة السعادة – القاهرة ١٣٢٨هـ–ج٣/ص١٨٤

(٨) المرجع نفسه ١٨٤/٣.

(٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع/ مكى بن أبى طالب القيسى – مكتبة الرسالة ، عمان ١٩٧٣ج١ ص٣٧٩.

(١٠) الأشباه والنظائر في النحو /للسيوطى – دار الحديث – بيروت /١٩٨٤ج١/ص٩-١٤.

(١١) انظر التطور اللغوى ، مظاهر وعلله . رمضان عبد التواب .، مكتبة الخانجى – القاهرة ص ٢٥.

(١٢) الخصائص – ابن جنى – دار الهدى – بيروت ج٣/ص١٤١.

(١٣) انظر : Michel Kenstowicz, Vowel Harmuny : a super. Segmental, Lingustic, 19,5/6 : 449-465, 1983.

(١٤) Mohanan, K., Lexical Phonology, Ph.D. Des. Ml I,1981, V.S.A.

(١٥) الكتاب لسيبويه – دار المعارف – القاهرة –١٩٦٩– ج٤/ص٣٣٠.

(١٦) جمهرة اللغة – ابن دريد– دائرة المعارف العثمانية –حيدر اباد – ١٣٥١هـ ج٢/ص١٦١.

(١٧) الإبدال – ابن السكيت . تحقيق هفنر ، ص ٥٧.

(١٨) إعراب القرآن – النحاس – بغداد ج٢/ص١٥١.

(١٩) لسان العرب – ابن منظور/دار صادر – مادة وقط.

(٢٠) البحر المحيط ٣٣٢/٥.

(٢١) ظاهرة لهجية واحدة في قبيلة هذيل – الأنصارى – مجلة البحث العلمى – جامعة أم القرى العدد ٥–١٩٨٢/ص١٠٣.

(٢٢) اللسان ٤٥٩/٣ مادة وسد.

(٢٣) ديوان الهذليين – مطبعة دار الكتب – القاهرة ج٣/ص٤و٩.
(٢٤) إعراب لامية الشنفرى – العكبرى – المكتب الإسلامى – بيروت ١٩٨٤–ص١٢٨.
(٢٥) اللسان ١٠/١٩٠ مادة وضا
(٢٦) الصحاح – الجوهرى – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٩ ج٢ ص/٥٤٨ مادة وحد
(٢٧) اللسان ٤/١٣٧.
(٢٨) الإنصاف فى مسائل الخلاف/ ابن الانبارى – المسألة الثانية.
(٢٩) التطور اللغوى مظاهره وعلله / رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجى – القاهرة /ص٤٢.
(٣٠) انظر التطور اللغوى – رمضان عبد التواب ص ٤١.
(٣١) المحتسب فى شواذ القراءات /ابن جني – القاهرة –١٣٨٦ هـ– ج١/ص٦٧.
(٣٢) البحر المحيط / أبو حيان ٤/٢٦٢.
(٣٣) ديوان الهذليين ١/٢.
(٣٤) اللسان مادة (قضى)
(٣٥) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك – الأشمونى – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ج٢/ص٢٨٢.
(٣٦) البحر المحيط ٥/٢٩٠
(٣٧) المصدر نفسه ٤/٢٨٢ وانظر أيضا ديوان الهذليين ١/٢.
(٣٨) البحر المحيط ١/١٦٩ – وديوان الهذليين ١/٢.
(٣٩) البحر المحيط ج٦ص٤٤٩.
(٤٠) أوضح المسالك على ألفية ابن مالك – مطبعة القاهرة ، ١٩٦٧ج٤ص٣٠٣–٣٠٦
(٤١) الكتاب ٣/٦٠٠.
(٤٢) شرح الشافية الكافية – منشورات جامعة أم القرى – مكة المكرمة ص ٨٠٤.
(٤٣) شرح السيرافى على سيبويه ٥/٦٦.
(٤٤) خزانة الأدب– البغدادى – مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ ج٣/٤٢٧–٤٢٩.
(٤٥) مختصر شواذ القرآن ابن خالويه – برجستراسر – المطبعة الرحمانية– القاهرة ١٩٣٤– ص١٠٣.
(٤٦) البحر المحيط ج٦/ص٤٤٩.
(٤٧) المصدر نفسه ج٦/ص٤٧٢.
(٤٨) همع الهوامع – السيوطى – دار المعرفة –بيروت ج٢ ص ٢٣.

(٤٩) شرح ابن عقيل - دار الاتحاد العربى - القاهرة -١٩٦٧ص.
(٥٠) سر صناعة الإعراب - ابن جني - مطبعة عيسى الحلبى - القاهرة، ١٩٥٤ - ج١/ص٤٦.
(٥١) البحر المحيط / أبو حيان ج١/ص٢٠٤ وج٥/ص٣٠٧.
(٥٢) اللهجات العربية فى التراث/ أحمد علم الدين الجندى - الدار العربية للكتاب - طرابلس الغرب ، ١٩٨٣ - ص ١٠٨ و٣٧٠.
(٥٣) فصول فى فقه العربية - رمضان عبد التواب /الهيئة المصرية/القاهرةص١٣٩.
(٥٤) البحر المحيط - أبو حيان ج١/ص٢٠٤.
(٥٥) المصدر نفسه ج١/٣٧٠.
(٥٦) An introduction to Hestorical and Comparative Linguistice, Rimo Antila, Macmillan 1972.p.74.
(٥٧) تفسير القرآن ، الطبرى ، ج١٥/ص٤٧٩.
(٥٨) البحر المحيط ٥/٢٦١.
(٥٩) الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر - محمود الآلوسى، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٢٤٠هـ ص١٧٥.
(٦٠) اللهجات العربية - الجندى /ص٦٨٣.
(٦١) البحر المحيط ٥/٢٦١
(٦٢) إتحاف فضلاء البشر ١١٣.
(٦٣) اللسان مادة درى
(٦٤) تفسير الطبرى ١٥/٤٧٩.
(٦٥) البحر المحيط ٥/٢٦١
(٦٦) تفسير الطبرى ١٥/٤٧٩.
(٦٧) الخصائص - ابن جني - تحقيق بهجت النجار - دمشق.
(٦٨) الكتاب ، ج٤/ص١١٠.
(٦٩) المصدر نفسه ج٤/ص١١٣.
(٧٠) الحماسة - المرزوقى ، ٤/١٨٤٥.
(٧١) العين - الخليل بن أحمد - مكتبة العانى - بغداد - ص١٣١.
(٧٢) فصول في فقه العربية - رمضان عبد التواب ، ص ١٢٦.
(٧٣) البحر المحيط - أبو حيان ١/٢٣-٢٤.
(٧٤) تكملة في تصريف الأفعال - محمد محيي الدين / ضمن شرح ابن عقيل

ج٤/ص٢٦٥.
(٧٥) اللسان /ابن منظور / مادة عرج.
(٧٦) القراءات الشاذة ، عبد الفتاح القاضى ص٢٤.
(٧٧) البحر المحيط / أبو حيان - ج٥/٤٤٨.
(٧٨) الخصائص - ابن جني ج٣/ص٨٦-٨٧.
(٧٩) البحر المحيط ج١/ص٦٠-٦١.
(٨٠) المصدر نفسه ج٧/ص١٥١.
(٨١) معانى القرآن - الفراء ج١/ص١٧٤.
(٨٢) الكتاب ج٤/ص٤٣٩.
(٨٣) البحر المحيط ج٢ ص ٣٢٤.
(٨٤) الكشف عن وجوه القراءات العشر - مكى القيسى ج١/ص٣١٦.
(٨٥) الإنصاف فى ممسائل الخلاف - الإنبارى - مسألة رقم ١٠٧.